ازمة المجلات الادبية في العالم العربي

الآداب تستفتي

« تعاني الصحف الادبية في العالم العربي ازمة خانقة تتمثل في اضطرار كثير من المجلات الفكرية الراقية الى الاحتجاب . فما هي الاسباب العميقة التي تعزون اليها هذه الازمة ، وكيف تداوى ؟ »

جواب الدكتور عبد القادر القط

ان الازمة التي تعانيها الصحف الادبية في العالم العربي لم تحدث إلا في السنوات القليلة الماضية . فمنذ بضع سنين كان لهذه الصحف سوق رائجة وقراء حريصون على متابعة ما ينشر فيها . وسر هذه الازمة لا بد اذن ان يكون منطوياً في التطورات التي حدثت اخيراً في مادة هذه الصحف وميول قرائها والسوق الصحفية بوجه عام .

وقد كانت مادة المجلات الادبية قبل نهاية الحرب الاخيرة خليطاً من القديم والجديد يرضي نزعات القراء في بلاد ناهضة تتأرجح بين الماضي والحاضر وتتشبث بأمجادها الغابرة في كفاحها لبناء مستقبل مجيد . ولكن المشكلات الحادة التي قامت في جميع نواحي المجتمع العربي بعد الحرب هزت هؤلاء القراء هزاً عنيفاً وفصلتهم الى حد كبير عن الماضي واضطرتهم الى مواجهة حاضرهم المعقد بما فيه من قضايا سياسية واجتماعية واقتصادية تؤثر ابعد الاثر في حياتهم . ولم تستطع المجلات الادبية ان تساير هذا التطور وان تمد هؤلاء القراء بما يعالج مشكلات مجتمعهم وينير السبيل امامهم . بل لقد زادت من الجانب القديم فيما تنشر وطغى فيها الادب النقدي والدراسات التاريخية على الادب الخالق . وعز على اصحاب هذه الصحف ان يسلموا بأن كثيراً من الادب العربي القديم يجب ان يقصر على دراسة المتخصصين وان تنشر هذه الدراسات في مجلات علمية خاصة . فمن المستحيل ان نعيش الامة العربية الحديثة على تراث قديم عمره الفا وخمسمائة عام وانشيء في ظروف لا تمت الى ظروف حياتنا بسبب قوي . وليس معنى اننا نكتب ادبنا باللغة العربية ان نظل مشدودين الى هذا الادب القديم بما فيه من صور واساليب لا تصلح للتعبير عن نشاطنا الفني المعاصر . ولا شك ان في تراثنا الادبي الحديث وما نقل اليه من آداب الامم الاخرى ما يصلح غذاء لطالب الأدب .

وفي الوقت الذي عجزت فيه الصحف الأدبية عن متابعة هذا التطور زادت امكانيات المجلات الخفيفة والمصورة زيادة ضخمة بما جمعه اصحابها من مال وخبرة اثناء الحرب وفرضت نفسها على القراء بحملات دعاية واسعة وطرق منظمة للتوزيع . ونستطيع ان نقدر قيمة الدعاية وحسن التوزيع اذا عرفنا ان كثيراً من الكتب التي لم تظفر من قبل بعدد كبير من القراء قد راجت رواجاً كبيراً حين نشرت في سلاسل تخرجها دور هذه المجلات الخفيفة . فالقراء ما زالوا يقرأون بل لقد زاد اقبالهم على القراءة في السنين الاخيرة ولكنهم يتلقفون ما يصل اليهم ويفرض عليهم . وهم يجدون فيه على اية حال عرضاً لجوانب حياتهم الحاضرة يرضي نزعتهم الى المعرفة ما دام لا يقع في ايديهم خير منه .

وحل الازمة في رأيي ان تدرك المجلات الادبية ذلك التطور الذي بيناه وتحاول ان تساير مكثرة في مادتها من الادب الانشائي على ان تكون الدراسات النقدية متصلة بمشكلات الادب المعاصر في اغلب الاحيان . وان تفتح هذه المجلات صدورها للجيد مما يكتبه قراؤها دون ان تفرض عليهم فرضاً صارماً جماعة من الكتاب المعروفين . كذلك يجب ان يدرك اصحاب هذه المجلات قيمة الاعلان في هذا العصر وان ينفقوا في ذلك عن سعة فان كل ما ينفق في الدعاية الصحيحة يعود بأضعاف قيمته في المستقبل . واني لأومن بأن من بين الآلاف من قراء المجلات الخفيفة عدداً كبيراً يسعدهم ان يقرأوا المجلات الأدبية الراقية لو وصلت اليهم بالدعاية وحسن التوزيع .

جواب الاستاذ عبد اللطيف شراره

هذه الظاهرة الخطيرة الخطرة -- اي احتجاب المجلات الفكرية في العالم العربي — تجد تفسيرها من تلقاء ذاتها في واقع الحياة العربية .

لقد انتهى العالم العربي ، على يد المدنية الاوروبية وتدخلها الآثم في كيانه الفكري ، الى وضع فقد معه قيمة الفكر ، وخسر به كل ما يشده الى البناء الإيجابي الخلاق :

المفكرون في بلاد العربية منقسمون على انفسهم حول الاساس ، حول القاعدة ، اي في النظر الى الامة من حيث هي مصدر ووجهة : مصدر فكر ، ووجهة تفكير .

والأفكار الخيرة ، الموقظة ، البانية ، الدافعة لا تصل الى جماهير الشعب .

والجماهير — واكثرها يغوص في الجهل والعذاب — لا تهتم بالفكر ولا بأهله .

والحياة العربية تدور من السياسة واساليبها في فراغ قاحل ، فلا يملك الناس ان يتعلموا ، ولا ان ينتقضوا ، ولا ان يتنوروا ، ولا ان يطلعوا على التيارات الفكرية العميقة التي توجه العالم الحديث وتسير عجلات التاريخ الراهن .

والمرأة ، ام المجتمع ومربيته ، لا تشارك الرجال في الحياة الفكرية ، ولا تستطيع ان تشاركهم فيها ، ما دامت منزوية مهملة !

والحالة الاقتصادية العامة لا تتيح لأبناء العالم العربي ان ينهلوا من العلوم والمعارف والثقافات ما يغني العقول والنفوس ، ولا تسمح لهم ان ينفقوا بسخاء على مطالعاتهم ودراساتهم العالية .

وللأدب الشفوي (السينما ، المذياع ، الخطب ، المحاضرات) اثر لا ينكر في مزاحمة المجلات الفكرية . .

وللضغط على الحريات في كثير من الاصقاع العربية (بلاد المغرب الافريقي ، إلخ ...) اليد الطولى في احتجاب المجلات .

ولانهيار المعنويات الصحيحة في اوروبا المسيطرة على كثير من اقطار العالم العربي ، تأثير فعال ، اساسي ، في القضاء على القيم الفكرية ، في الشرق العربي .

ولهذا الضرب من الحوف اخيراً ، الذي يملك على جمهرة المفكرين مطارح الجرأة ، ويحملهم على التوقف عن مقاومة المظالم الاجنبية والداخلية ، إساءات كبيرة نحو حياة الفكر ، منعت ازدهارها ونموها .

هذه العوامل كلها مجتمعة ، هي التي تصرف الجماهير العربية عن قضايا الفكر ، الى « معزوفة الخبز » و « لازمة السياسة » !

اما دواء هذه الحالة فانه في يد الموجهين . والموجهون ، في هذا المقام ، هم اصحاب السلطة ، وذوو الشأن ، لا اصحاب الفكر ولا اهل الفن .

على المفكرين ، في مثل هذا الوضع ، ما على الاطباء ، اي ان يعطوا «الوصفات»، وعلى الصيادلة، اذا كان ثمة صيادلة، ان يقدموا الادوية الناجعة.

ولن يكون العلاج الشافي — كما يلوح لي — الا حين يخرج ساسة العرب وحكامهم في شتى ديارهم واقاليمهم ، من كهوف مصالحهم الشخصية ، ومنازعاتهم الاقليمية ، وخصوماتهم العتيقة البالية ، ليواجهوا العالم الحديث بفكر حديث يستهدف العدالة والحرية والكرامة الوطنية والسلامة الاجتماعية ، ويسهموا بعد ذلك إسهاماً صحيحاً فعالاً، في معالجة المشاكل الدولية، والقضايا الانسانية، بحزم وجرأة .

عند ذلك ترتفع قيمة الفكر في العالم العربي، ويتشوق الناس الى المفكرين، والاطلاع على آرائهم ، ويأخذون في التهام النتاج الفكري الذي « يزكو على الانفاق » ، ويسارعون الى مد المجلات بكل ما تحتاج اليه من تأييد ومعونة ، لأنها تشاركهم كما يشاركونها حينذاك ، في بحث قضايا الساعة ، وكل ساعة ...

جواب الاستاذ عيسى الناعوري

في يقيني ان موضوع هذا الاستفتاء الذي طلب الدكتور ادريس الي المشاركة في ابداء الرأي بشأنه ، موضوع كبير وخطير ، فلا تتناسب خطورته مع الرغبة التي ابداها الصديق الكريم في « ان يكون الجواب موجزاً » ، ولهذا ارجو ان يسمح لي ، ويعذرني معه القراء الكرام ، لاضطراري الى جعل الجواب متناسباً مع خطورة الموضوع ، في البحث والتفصيل .

وخطورة الموضوع مردها الى انه يتصل اتصالاً وثيقاً بأهم ما تتميز به امة واعية في عصر الوعي والنور ، واعني به « الفكر المثقف الراقي » . وما معنى وجودنا اذا كان هذا الوجود لا يقوم على اساس من الثقافة والفكر في ارقى درجات وعيها ؟

والذي يلفت النظر ويثير اكبر الاهتمام ان حالة الصحافة الادبية في العالم العربي ، كانت الى ما قبل الحرب العالمية الثانية احسن مما هي الآن بكثير جداً ، بحيث لا يجوز لنا المقايسة بين الحالتين . واذن فهذه الصحافة الادبية قد مرت بطورين : الاول يبدأ من اواخر القرن الماضي ، ويستمر ناجحاً بارز الاثر في الحياة والمجتمع العربي الى اوائل الحرب العالمية الثانية . والثاني يبدأ بالحرب الثانية وما يزال مستمراً ، وقد بدأ هذا الدور سيئاً ، وما يزال كل يوم يزداد سوءاً . وفي الدور الاول عرف العالم العربي من الصحف الأدبية : (اللواء ، المؤيد ، المقتطف ، الهلال ، مجلة سركيس ، السياسة الاسبوعية ، المجلة الجديدة ، مجلتي ، الرسالة ، والثقافة) وعدداً آخر كبيراً جداً من المجلات الادبية التي كانت تظهر مدة قصيرة ثم تختفي لأسباب اغلبها خاص ، ونذكر منها : (الضياء ، البيان ، العصور ، ابولو ، الزهور) وعشرات غيرها . وهذه كلها في مصر وحدها ، والمشتغلون بالأدب يعرفونها كلها ، كما يعرفون ان اغلب الصحف اليومية والاسبوعية الاخرى في الاقطار العربية كلها ، كانت تشارك في الادب مشاركة كبيرة جدية ، مما يدل على ان الأدب كان بضاعة رابحة ، وان العرض منه كان اقل من الطلب — على تعبير اهل الاقتصاد .

ثم بين عشية وضحاها رأينا الوضع ينقلب ، فاذا المجلة الادبية تبور ، والكتاب الادبي يفقد قراءه ، واذا الاديب في محنة ، والادب في بوار . فكيف ولماذا وقع هذا ؟

وأبادر فأقول ان الذنب في هذا لا يقع على الادباء والشعراء ، ولا على الصحافة الادبية الراقية ، الا في حدود ضئيلة جداً . فالأدباء اليوم اوفر عدداً ، والأدب اليوم ، في أغلبه ، اعمق واكثر اتصالا بالحياة وبالجماهير القارئة وغير القارئة ، من قبل . وحينما كانت تجارة الأدب رائجة ، كان اغلب الأدب الرائج تنميقات في بطون القواميس والكتب القديمة ، او مهاترات فيها الكثير من السطحي او غير المهذب . ومع ذلك كان « المستهلكون » لهذه البضاعة الناجحة كثيرين ، كما يبدو لي ايضاً انها كانت تنال عناية غير قليلة من الحكومات . اما الآن والأدب العربي قد تعددت فيه مذاهب الفكر، وعمقت الثقافة واتسعت آفاقها، ورسخت جذور الدعوة الى الواقعية الاجتماعية، فأصبح الادب يشمل كل مواضيع الحياة الهامة ، ومن الجهة الاخرى ارتفع عدد المتعلمين في العالم العربي ارتفاعاً عظيماً جداً — بالنسبة الى ما كان قبلاً —، اما الآن وهذا واقع الحال في الأدب وفي كمية المتعلمين ، فقد انعكست الحال انعكاساً لا يصدقه العقل ، فملايين المتعلمين في العالم العربي — وبينهم مئات الالوف ممن لا يزالون على مقاعد الدراسة الثانوية والجامعية ، والبافون في الوظائف العامة ، او يزاولون الاعمال الحرة — هؤلاء جميعاً كان يجب ان يكونوا كلهم « مستهلكين » للصحف والكتب الادبية والعلمية التي تغذي الثقافة، وتنشط الملكات الفكرية . ومع ذلك فأين هو الاديب الذي يستطيع ان يجازف الآن باصدار مجلة أدبية على حسابه الخاص ؟ واين هو الاديب الذي يستطيع ان يغامر بطبع احد مؤلفاته على نفقته ، واثقاً من وجود عدد كاف من القراء له ؟ واين هو الكتاب الذي يمكن ان يطبع منه ثلاثة آلاف نسخة في مرة واحدة ؟.. ثلاثة آلاف فقط ، ولا اقول اكثر ... مع ان هذا الرقم — لو صح التوجيه الثقافي عندنا — كان يجب ان يستهلكه قسم واحد ، من جامعه واحدة ، في قطر واحد من البلاد العربية ؟!؟

وهكذا نعود من جديد الى سؤالنا السابق، وهو موضوع هذا الاستفتاء: كيف ولماذا وقع هذا « الانحلال الثقافي » عندنا ؟

هنا أبدأ التفصيل في الإجابة بحسب ما توصلت الى اعتقاده بعد بحث غير قليل ، واعتقد ان هذا الجواب لا يجوز فيه التدجيل والمجاملة على حساب الحقيقة ، هذه الحقيقة التي يجب ان نجعل منها نقطة الانطلاق في الاصلاح الثقافي، والتوجيه الفكري الحقيقيين، فما بغيرهما نستطيع ان نكون امة حية.

ان المتتبع للصحافة في العالم العربي يعرف حق المعرفة حقيقتين لهما أكبر الأثر في هذا الاتجاه الجديد الذي عكس مفاهيم الوعي الفكري عندنا . فالى اوائل الحرب العالمية الثانية لم تكن الصحافة التجارية الملونة طاغية على الأسواق بالشكل الذي نراه الآن ، وكان الصحفي لا يجرؤ على ان يعرض في الأسواق أدب الكباريهات والمسارح والشاشة ، وأدب المراهقة والشهوة المائع ، وما يرافقه من مغريات مكشوفة . وقد يكون للتقاليد الشرقية اثرها في هذا التحرج الاخلاقي الطيب المحمود .

هذه حقيقة . والحقيقة الثانية هي ان المتعلمين لم يكونوا يجدون امامهم سوى هذه المجلات والجرائد الرصينة الراقية ، وكان اساتذتهم في المدارس الثانوية والجامعات يمكنون من صلاتهم بهذه الصحف ويتناقشون معهم في مواضيعها ، فكان المعلمون والطلاب يقبلون عليها ويتحمسون لها . ويبدو لي ان المعلم كان آنذاك يغلب عليه المشاركة الأدبية ، او التذوق الادبي ، او الاندماج الصحيح في مهنته التي من أهم أهدافها أن تنشىء « القارىء الواعي » وليس فقط « الآلة المتعلمة » — كأغلب من يتخرجون من المدارس اليوم — وللمعلم والمدرسة في هذا التوجيه ابلغ الأثر وأعمقه ، ولهذا لا يقل عندي أثرهما اليوم في الانحلال الثقافي، عن اثر الصحافة التجارية وادب الكباريهات.

والمدارس والجامعات عندنا تخرج كل عام جيوشاً جرارة من «الموظفين» أو « المتعلمين الاميين » اذا جاز التعبير – بدلاً من « المثقفين الواعين » ، فما يكاد الواحد منهم يغادر باب المدرسة حتى يقطع الصلة بينه وبين الكتاب والانتاج الفكري الى الابد . وقد عرفنا كثيرين من حملة الشهادات العليا يفتخرون بأنهم لم يفتحوا كتاباً من يوم خروجهم من الجامعة !!.

ان القراء يذكرون كيف كان التهافت على مجلتي الرسالة والثقافة على اشده – قبل الحرب الاخيرة فقط – يوم لم يكن لأدب الكباريهات العاري وجود محسوس . فلما طفت على الاسواق الصحافة التجارية الملونة – اثناء الحرب وما بعدها – يبدو لي ان المعلم والمدرسة قد فقدا أثرهما في التوجيه الثقافي الصحيح ، او استسلما الى تخدر الاحساس دون المسؤولية التهذيبية ، وتركا الطالب يضيع وحده بين معروضات المكاتب ، ولم يعد ينصرف همهما الى اكثر من تحفيظ الدروس المقررة في المنهاج ، لأن « الشهادة » في رأي أغلب الناس عندنا هي « الثقافة »...فكان لذلك نصيب الاغراء الملون العاري في نفوس الاجيال الناشئة، يرجح كثيراً بحظ الفكر الجاد العميق . واستمرت مواكب الناشئة تتتالى عاماً بعد عام على هذا الانحلال الثقافي ، فرأينا الكتب والمجلات التجارية الرخيصة تتعدد وتتفنن في اكتساح الاسواق ، والكتاب الأدبي والصحافة الراقية ينزويان ويفقدان قراءهما .

وظاهر من كلامي هذا انني اعزو سبب الكساد الادبي والميعان الثقافي الى امرين رئيسيين ، هما :

١ – الصحافة التجارية ، وإغراآتها المتنوعة : بألوانها الزاهية ، وصورها العارية ، وربيورتاجاتها المثيرة التي تنتزعها غالباً من الكباريهات والمسارح والشاشة وغيرها ، ولا غاية لها سوى اثارة الغرائز الجنسية لدى المراهقين من الشبان والشابات – وهم الفئة المستهلكة الكبرى ..

٢ – المدرسة والمعلم . فمتى كان المعلم يعرف ان رسالته هي إنشاء القارىء الواعي ، وتوجيهه الى المطالعة المفيدة التي تزيد في ثقافته وان المدرسة وسيلة الى الثقافة ، وليست « مخرطة » لصنع آلات متعلمة بحسب منهاج مقرر ، متى عرف المعلم هذا وحققه في تعليمه ، استطعنا ان نطمئن الى ادبنا وصحافتنا الادبية، والى توجيهنا الثقافي . فالمعلم والمدرسة اداتا توجيه نحو الثقافة ، وبهما يتقرر المستوى الثقافي في الامة .

ونحن لسوء الحظ نلاحظ ان رسالة المعلم والمدرسة هذه مهملة اشنع الاهمال في مدارسنا وجامعاتنا ، حتى أننا لنجد ان اغلب المعلمين هم انفسهم اسوأ من طلابهم من حيث التوجيه الثقافي والمستوى الفكري ونوع المطالعة التي يقبلون عليها. وقل ان تجد بين المتعلمين من يهتم باقتناء مكتبة ادبية وعلمية محترمة في بيته.

ولست اريد ان القي القول بدون برهان . فالى القراء بعض الامثلة على هاتين الناحيتين اللتين اعتقد انهما الاصل في الازمة الادبية الحاضرة . ولا بد من الصراحة التامة في التمثيل :

١ – يعرف القراء ان مجلة (الهلال) كانت من اهم مراجع الادب العربي الحديث ، وكانت لها لدى العرب والمستشرقين مكانة هي اعلى ما تطمح اليه صحيفة ادبية . وقد ظلت كذلك منذ انشائها الى اوائل الحرب العالمية الثانية ، يكتب فيها جلة الادباء المرموقين في العالم العربي ، ويشعر قارئها بالدسم الفكري فيها، وبالرغبة الشديدة في العناية بجمعها في مجلدات سنوية يزين بها مكتبته.

وصحيح ان دار الهلال كان لها الى ذلك العهد مجلات اخرى تجارية الى جانب الهلال ، ولكن شهرة الدار كلها في العالم، كانت تعتمد على (الهلال) وحدها ، وعلى منشوراتها من مؤلفات مؤسسها المرحوم زيدان . فلما عمدت هذه الدار الى تقوية مجلاتها التجارية وتغليبها ، بالمبالغة في تزويقها وتوشيتها بالألوان والريبورتاجات والصور المثيرة المغرية، لم تجد بداً من الهبوط بمستوى (الهلال) شكلا وموضوعاً ، لتجاري السوق الجديدة ، وتصبح هي ايضاً مجلة تجارية . وعلى الرغم من ان صفحاتها لا تزال الى اليوم تحمل الكثير من الاسماء الضخمة في عالم السياسة والادب ، الا ان (الهلال) اليوم لم تعد لها صلة بهلال الامس ، وقراؤها اليوم غير قراء الامس ، وقيمتها الادبية اليوم لدى المثقف العربي الواعي ولدى المستشرقين ، لم تعد شيئاً الى جانب قيمتها بالأمس . فهي اذن خسارة عظيمة للأدب العربي ، ولكنها بدون شك كسب تجاري لاصحابها .

٢ – عندما ظهرت مجلة الرسالة اولا ، ثم تلتها مجلة الثقافة ، كان الاقبال عليها – من الكتاب والقراء على السواء – رائعا مدهشاً في جميع الاقطار العربية . ذلك لأن الصحافة التجارية – صحافة الكباريهات – لم تكن قد طغت على الادب واغرقت الاسواق بعد . وقد بدأت المجلتان بالهبوط والخسارة – في مستواهما الادبي وفي قرائها معا – منذ اوائل الحرب الاخيرة، حينما غزا جراد مجلات الكباريهات الاسواق ، بالاغراء الملون ، والاجسام العارية .

٣ – ومجلة المقتطف : كانت الى ما قبل الحرب الاخيرة في اعلى مكانة يمكن ان تصل اليها الصحيفة العلمية – لم تفقد كتابها وقراءها ومستواها العلمي الا بعد طغيان الصحافة التجارية في اوائل الحرب . واي طغيان ابلغ من ان تنتزع مجلة « المختار » الاميركية ، صاحب المقتطف والعقل المدبر لها ، الاستاذ فؤاد صروف ،من ادارة مجلته ، ليحرر « المختار » بأجر باهظ كان هو المعول الاول في قتل المجلة العلمية الوحيدة في العالم العربي ؟!

★

هذا من ناحية طغيان الصحافة التجارية. اما من ناحية المدرسة والمعلم فها أنا اكتفي بتقديم مثال واحد ، يغني عن الكثير غيره :

حينما كنت أصدر (القلم الجديد) ، تحدثت مرات في شأنها مع مدير اكبر مدرسة ثانوية حكومية في الاردن – هي كلية الحسين ، ومديرها شاعر وأديب ومؤلف ، وهو ايضا صديق لي – لعله يهتم بتوجيه طلابه الى الاهتمام بشراء المجلة ومتابعة الحركة الأدبية عن طريقها . ولكنه كان في كل مرة يعتذر بأن الطلاب فقراء ، ولا يمكنه ان يخاطبهم في موضوع كهذا لئلا يحسبوا ان له في الأمر مصلحة شخصية ... هذا مع العلم بأن طلاب عمان لا بد ان يكونوا احسن حالاً من ابناء بقية المملكة كلها ...

ولكن مدرسة اخرى هي المدرسة الفاضلية في طولكرم – وطولكرم مدينة صغيرة على حدود المنطقة اليهودية ، واهلها من افقر سكان الأردن ، لأنهم فقدوا كل موارد رزقهم في المنطقة اليهودية – كان مديرها الاستاذ الشاعر وهيب البيطار يوزع فيها من كل عدد من المجلة ٣٥ – ٤٠ نسخة . وكان دائماً يذكر لي ان الطلاب يقبلون على المجلة بشغف ونهم ، ولو كانت الكمية مضاعفة في كل مرة لنفدت ، ولكنه لم يكن يشاء ان يرهق ميزانية الطلاب المساكين – لأنهم فقراء حقا لا ادعاء ... فكان هو نفسه يجد من اندفاعهم لاقتنائها رحمة بهم . وعندما صدر العدد الليبي (الحادي عشر) من المجلة كانت العطلة الصيفية قد بدأت، فلم أشأ ان ارسل الكمية المعتادة لئلا يصعب على صديقي المدير توزيعها. ولكن الغريب ان يجيء هو الى عمان ، ويعاتبني على هذا (الاهمال ...) ! وهذا ما قاله لي : « يجب ان تتأكد انه ليس الطلاب وحدهم هم الذين يسألوني عن المجلة ، فقد اصبح التجار ، وذوو الطلبة يترقبون وصولها كل شهر ، واذا تأخرت تنهال علي اسئلتهم : لماذا تأخرت ؟ ومتى تصل ؟ » . ثم قال : « انا في الحقيقة لم افعل اكثر من انني عرضتها

على الطلاب اول مرة فقط ، وحثتهم على مطالعتها ، فأصبح وجودها عندهم حاجة ملحة » ... وهكـــذا اضطررت ان انزل عند رغبة الاستاذ البيطار وابعث اليه بالكمية المعتادة من المجلة ، بعد ان مر اسبوعان على صدورها ولست في حاجة الى القول ان الكمية قد نفدت حال وصولها .

وانا الآن اتساءل : ترى لو فعلت كل مدرسة ثانوية في الاردن كما فعل الاستاذ وهيب البيطار في مدرسته الفاضلية في طولكرم الفقيرة ، اكان من من الممكن ان تمـــوت (القلم الجديد) وفي الاردن ما لا يقل عن خمس وثلاثين مدرسة حكومية ثانوية — بين متوسطة وتامة — وما لا يقل عن خمس عشرة او عشرين مدرسة ثانوية اهلية ؟!

★

والقارىء يدرك ان هذا المثال الذي اوردته اخيراً يدعم رأيي في ان العلة في هذا الركود الادبي — او ما يطيب لي ان ادعوه بالانحلال الثقافي — تكمن في المدرسة اولاً ، وان سوء التوجيه الثقافي في المدرسة — او اهمال التوجيه على الاطلاق — من اكبر الاسباب الداعية الى قتل الادب والصحافة الادبية الراقية، وبالتالي الى تعطيل الفكر النير الواعي. فالمعلم الصالح يستطيع ان يغلب في نفوس طلابـــه تيار الصحافة الرخيصة . فأعطوني المعلم الصالح ، اضمن لكم اجيالاً قارئة ، واضمن للكتاب الادبي والصحيفة الادبيـــة حياة طويلة محترمة .

ولكن الى ان يتسنى لنا تحويل المدارس الى مصانع لخلق اجيال جديدة من « القراء الواعـــين » ، هل يجب ان تتعطل الصحافة الادبية ، ويموت الانتاج الادبي ؟ واذا لم يموتا ، فما هو العلاج الآني لضمان استمرارهما ؟

اعتقد بأنه هنا — وهنا فقط وفي الدرجة الاولى — يأتي واجب الحكومة في المساعدة . وانا حين اقول هذا لست انسى ان الحكومات انما تتألف من اشخاص عاديين ، لا يتميزون عن غيرهم ممن خرجتهم المدارس الوظيفة — لا للثقافة غالباً — وزادت السياسة في قطع الصلة بينهم وبين الحياة الفكرية ، فهم اذن ليسوا دون غيرهم — بـــل هم اكثر من غيرهم — اهمالاً لشؤون الثقافة والفكر ، واجراماً في حق الوعي الثقافي .

ولكن رجال الحكم هؤلاء ، الذين يخصصون في ميزانية الدولة المبالـــغ الكبيرة للمصروفات السرية ، وينفقونها على شراء الاقلام للمهاترات السياسية والحزبية ، يجب ان يخصصوا كذلك مبالغ اخرى للنفقات الجهرية ، لتشجيع النشاط الادبي والفني الراقي .

وهذه المؤازرة الحكومية يجب ان لا تكون — في رأيي — اكثر من وسيلة انعاش آني ، الى ان نحسن توجيه المدرسة لخلـــق الاجيال القارئة الواعية ، التي يجب ان تكون هي وحدها عماد الحياة الاول والاهم لكل انتاج فكري راق .

جواب الاستاذ جعفر الخليلي

اذا صح ان مشاكل الصحافة الادبية التي تؤلف ازمة خانقة تضطر المجلات لفكرية الواقعية الى الاحتجاب قـــد بدأت تتعقد يوماً بعد يوم واصبحت لنسبة فيها مطردة باطراد الايام، اقول اذا صح هذا، فلا احسب لذلك سبباً غير ن الصحف الادبية الفكرية قبل هذا اليوم كانت هي المسرح الوحيد للعلم والفن القصة والشعر وسائر الفروع الادبية وضروب التسلية الفكرية . فكانت مجلة لمقتطف مثلاً على رغم مسحتها العلمية اقرب المجلات العامة التي تتمثـــل في مفحاتها بغيـــة الفنون الادبية ، ومرامي الافكار الحديثة ، وحتى الفكاهة الدعابة والطرائف والنوادر . اما مجلة الهلال فقد كانت أكثر تمثيلاً لجميع مقتضيات الحياة، لذلك لم يقتصر عدد قراء الصحف الادبية على طبقة دون طبقة بالنظر لهذا التنويع، وحين تقدمت الايام تنوعت الرغبات، وتنوعت الحاجات، وصار مثل هذا الالمام بمقتضيات الحياة العامة لا يكفي لاشباع رغبة جميع القراء. فتطورت معها الصحف الادبية وكانت مجلة الهلال أول مجلة أدركت وجوب هذا التطور وخلط الأدب بالأجتماع بالطرافة وسائر الفنون بنسبة مستساغة تضمن تضمن بقاء قراءها حيث كانوا بدون اية نقيصة اذا لم تكن هذا لك من زيادة في العـــدد . وظلت الصحف الادبية التي لم ترع مقتضيات هذا التطور العام محصورة بأداء مهمة واحدة وتصوير جانب واحد من الأدب والحياة وهو أمر لا بد منه لأداء رسالة الأدب على وجهها الكامل وخدمته خدمة خاصة، وبذلك اصبحت هذه الصحف اقرب للاختصاص منها بالصحف الفكرية العامة الطريفة التي كان يجمع على قراءتها عدد كبير من القراء. وليس من شك ان اقتصار الصحف عـــلى بحث معين ، ولون معين ، يجعل قراءها طبقة معينة ومن لون معين ايضاً ، بحيث لا يستطيع هذا القارىء أن يمون هذه الصحف بما تتطلب من مال لقلة عدده، وعلى هذا يكون قراء المجلات التي تعنى بالموسيقى وحده مثلاً أو الرسم والنحت وحدهما أو الآثار القديمة ، او الادب وحده أقل بكثير من مجلة تعنى بكل هـــذه الفنون والعلوم معاً سواء ادت بعض الواجب من تلك الفنون أو لم تؤد .

وباختصار أريد ان أقول إن هذه الصحف الادبية سواء التي تصدر في العالم العربي أو العالم الأنساني أجمع قد فقدت عدداً كبيراً من القراء حين أصبحت أشبه بالصحافة الخاصة المقتصرة على نوع واحد بعد ان كانت تمثل كل فن من الفنون على قدر المستطاع .

أما العلاج فلست آراه متيسراً من غير ان يكون لهذه الصحف الأدبية في ميزانية الدولة أو البلديات أو المعارف سهم يسد نقصها كما تسد نقائص المدارس والمستشفيات وسائر المؤسسات النافعة باعتبار الأدب وسيلة فعالة في توجيه الحياة وانماء المدارك وصقل المواهب . وان تركه يؤدي حتماً اما الى الانسحاب من الميدان او تغيير اتجاه الصحافة تغييراً اذا كان مفيداً من جهة فانه خسارة كبيرة من جهة اخرى .

جواب الاستاذ فؤاد التكرلي

ان اسباب الازمة التي تعانيها الصحف الأدبية عندنا لا تنفصل كثيراً عن اسباب اضطرابنا الفكري وقلقنا العقيم ، بل ان هذه الازمة في الحقيقة صورة قاسية تعكس فوضى أفكارنا واتجاهاتنا في عصر لا يحتاج فيه الانسان الى شيء مثل الهدف الواضح والايمان العميق به. وفي رأيي ان مؤسسي الصحف الادبية كانوا — ولا يزال بعضهم — بحاجة الى فكرة ثابتة صحيحة عن روح العصر وعن حاجات القارىء العربي الحديث ، وهذه الفكرة ضرورية ضرورة الحياة. ذلك ان عدد القراء عندنا محدود للغاية ، وهم يقرأون ليستمر اتصالهم الذهني بزمنهم ، فاذا حدث أنهم لم يجدوا في الصحيفة الأدبية ذلك الامتداد العميق للفكر العالمي ، كان انصرافهم عنها امراً تحتمه الحاجة والواقع .

وعلى هذا ، فتفسير احتجاب « الرسالة » و « الثقافة » بأنها لم تعودا تلائمان روح العصر الحاضر تفسير له نصيب كبير من الصحة . ولا يمكن قط ان نعيب القارىء العربي الحديث لأنه لم يعد يلقى إشباعاً فكرياً في قراءة هاتين المجلتين . ذلك ان انصرافه عنها حدث في نفس الوقت الذي اتجه فيه الى صحف ادبية شعر بعمق انها تصله بالفكر العالمي .

جواب الاستاذ غائب طعمه فرمان

في رأيي ان محنة الصحف الادبية ليست إلا وجهاً واحداً من وجوه محنة كبرى تجتاح البلاد العربية وهي محنة الحرية . وان بدا هذا الجانب اكثر

وضوحاً لاتصاله بفئة تشعر اكثر من غيرها بوطأة هذه المحنة وبالأثر الذي تتركه في كيانها ونفسيتها ومجـال نشاطها .

لماذا نقول محنة الصحف الادبية ولا نقول محنة الفكر العربي ؟.. محنة الكتاب العربي الموجـه ومحنة الجريدة السياسية الواعية ومحنة الثقافة المدركة بمجموعها تلك التي اخذت تلح الحاحاً قوياً في فرض نفسها وفي تغلغلها في كل ناحية من نواحي حياتنا الاجتماعية والفكرية والاقتصادية والسياسية والتي اصبحت موطن ذعر وتهديد لعناصر شاخت ووهنت ولم تستطع الصمود امام التيـار الجارف الا باستعمال القوة وبتطويق البلاد العربية بنطاق عريض من الرقابة على الثقافة والافكار .

والحق ان جانباً ضخماً من المسؤولية يقع على عاتق الحكومات العربية فوقفها من الصحف الفكرية الراقية – كاغلب مواقفها من عوامـل التطور والاندفاع – موقف سلبي . فسوء الظن مستحكم والنفور ظاهر في جميـع التصرفات وعدم الارتياح الى تلك المجلات يعلن في شتى المناسبات وفي مختلف الاساليب ، في المصادرة حيناً ، وفي غلق الاسواق في وجهها حيناً آخر ، وفي عرقلة انتشارها حيناً ثالثاً ، وفي فرض رقابة صارمة في اغلب الاحيان .

وليس هذا فقط ... فان الموقف السلبي يظهر بصورته القاتمة في ناحيـة اخرى ... وهي سياسة الحكومات المتهاونـة بازاء التعليم وانعدام التفكير الجدي في توسيعه والارتفاع بمستواه وصيانة حرمته. ثم العمل على تقليص عدد المثقفين الحقيقيين في البلاد العربية سواء اكان ذلك بتخريج اعداد ممن نسميهم غبناً بالمثقفين او باعـلان وصاية صارمة على الثقافة والمثقفين بمراقبة الثقافة الوافدة وتقديم ما يلائم نظرة الطبقة الحاكمة منها، وتضييق الخناق على الانتاج الفكري المحلي بطرق معروفة . ولا شك في ان هذه الامور كلها تترك اكبر الاثر في خلق ازمة خانقـة لأنها تخلق قراء غير جديين يقبلون بحكم ضحالة ثقافتهم على مجلات الافخاذ والنهود والصور الجنسية ، وينفرون من كل مجلة تنقل اليهم انتاجا فكريا رفيعا يتطلب جهداً واستيعابا وروية . وليست هـذه الأزمة بحقيقتها الا أزمـة الأدب والفكر والثقافة الحقيقية والمجلات ما هي الا وسائل لنقلها والتأثر بها .

بقي لي أن أسأل : ما المقصود « بالمجلات الفكرية الراقية » ؟

فالواقع ان هذه التسميـة كليلى، كل قيس يزعم أنه صاحبها – وقيس هنا صاحب كل مجلة !

فبعض المجلات تعتقد ان الثقافة الراقية هي تلك التي يستطيع أي كتاب أصفر ان يزودنا بها ... وبعضها يظن الثقافة الراقية تمجيد كل أثر غربي مهما يكن نوعه واتجاهه ... وبعضها يخـال الثقافة الراقية الاشتراك في جدل بيزنطي حول موضوعات تكسرت اقلام الكتاب في بحثها. والجدل فيها كأن يجادل حول – الثقافة العربية واثرها في الغرب . وكأن تثبت علاقة الفنان بالمجتمع ، أو كأن تبحث صلة الفن بالأخلاق ... الى غير ذلك . والواقع ان مثل هذه الموضوعات ما هي الا معاول لتهديم أية مجلة أدبية مهما يكن حظها من جودة الطباعة وحسن الاخراج فالقـارىء لم تعد تثير في نفسه هذه الموضوعات اي دافع الى القراءة ان لم تبعث السخط في نفسه ! . انا لا اقول ان مثل هذه الموضوعات مكتوب عليها ان تقبر ولكني اقرر حقيقة واحدة – كرجـل مارس الصحافة وقتا غير قصير – ان القارىء الحديث يطلب شيئا آخر ... يطلب ثقافة تعينه على ان يحيا حياة مبصرة واعية في واقع مليء بالمشاكل مفعم بالمآزق ... يطلب اقلاما تنزل الى واقعه تتحرى منغصاته وتسعى الى « تنظيف » طريق حياتـه من الاشواك والطحالب ... يطلب ادبا يكون صورة لنفسه كانسان يشتبك مع قوى معينة ويسعى الى غايات عامة وتختلج في نفسه هموم وامال شاملة ... ومجلة تريد ان تبقى وتصبـح حبيبة الى كل قلب لا بد لها من ان تطمئن رغبة القارىء من هذه الموضوعات... لا بد لها من النزول الى المعترك ومعالجة ما يشعر كل انسان بأثره في نفسه وتغلغله في حياته . اما ان تنسج حول نفسها شرنقة ، وتخاطب القارىء من قمة الاولمب ، وتتحدث عن جمال الزهرة وهو يعيش في زرائب الحيوانات، وتصف اصناف الاطعمة وهو جائع ، وتصور مناظر الطبيعة الزاهية وهو مشدود الى عجلة ما ان ينفك منها حتى يموت جوعا ، فانها في عملها هذا تحكم بيدها الازمة التي تستغيث منها وترمي بعد ذلك – الجو الادبي والقارىء العربي بكل مـا استوعبت قواميس اللغة من الفاظ القدح والتشهير .

تلك في رأيي اسباب الازمة التي تعانيها الصحف الادبية . حين يزول سوء الظن بين الحكومات العربية وبينها – وهو لا يزول الا بتضييق الشقة بين تلك الحكومات وشعوبها – وحين ينزل اصحاب المجلات من القمم الباردة... حينذاك ... وحينذاك فقط تحل عقدة الصحف الادبية .

دار بيروت – للطباعة والنشر
بناية العازارية ، تلفون ٣٩٥٣٢ بيروت – لبنان

من المجموعة العقائدية :

هذه هي الوجودية

تأليف بول فولكييه

ترجمة محمـد عيتاني

الثمن ١٥٠ قرشاً

من المجموعة السيكولوجية :

مفتاح الحـظ

عرض وتلخيص عبد اللطيف شراره

الثمن ليرة لبنانية